رأيت جفون الريح والليل إثمد ... يقلب من جمر الجذاء أعيناً رمدا .

قال ابن خفاجة : ذهبت يوماً أريد باب السمارين بشاطبة ابتغاء للفرجة على جرية ذلك الماء بتلك الساقية وإذا الفقيه أبو عمران ابن أبي تليد C قد سبقني إلى ذلك فألفيته جالساً على مصطبة كانت هناك مبنية لهذا الشأن فسلمت عليه فأنشد أثناء ما تناشدناه قول ابن رشيق C تعالى : .

يا من يمر ولا تم ... ربه القلوب من الحرق .

بعمامة من خده ... أو خده منها سرق .

فكأنه وكأنها ... قمر تعمم بالشفق .

فإذا بدا وإذا مشى ... وإذا رنا وإذا نطق .

شغل الجوارح ولاجوا ... نح والخواطر والحدق .

واستحسنها فقلت : أخل لأن النطق لا يشغل الحدق ونظمت قولي : .

ومهفهف طاوي الحشا ... خنث المعاطف والنظر .

ملأ العيون بصورة ... تليت محاسنها سور .

فإذا رنا وإذا شدا ... وإذا سعى وإذا سفر .

فضح المدامة والحما ... مة والغمامة والقمر .

وقال ابن خفاجة أيضاً : .

وعشي أنس أضجعتني نشوة ... فيه تمهد مضجعي وتدمث .

خلعت علي بها الأراكة ظلها ... والغصن يصغي والحمام يحدث .

والشمس تجنح للغروب مريضةً ... والرعد يرقي والغمامة تنفث .

وقال يهجو سوداء : .

وسويداء قسم القبح فيها ... بين وجه جهم وجسم قضيف .

أقبلت في معصفر سحبته ... وهي متفال وهو غير نظيف .

فتأملت منه نطفة حيض ... غرقت فيه خنفساء كنيف .

وقال في فرس أشقر : .

وأشقر تضرم منه الوغى ... بشعلة من شعل الباس .

من جلنار ناضر لونه ... وأذنه من ورق الآس .

يطلع للغرة في وجهه ... حبابةً تضحك في الكاس .

وقال في أحدب أسود يسقي : .

وكأس أنس قد جلتها المنى ... فباتت النفس بها معرسه .

طاف بها أسود محدودب ... يطرب من لهو به مجلسه .

فخلته من سبج ربوةً ... قد أنبتت من ذهب نرجسه .

وقال في غلام مليح بين يديه نارنج : .

ويوم تقضى بين كاس ومسمع ... يحض إليها أو تهز إليه .

تطلع بدر التم في وسط دسته ... فخرت نجوم الأفق بين يديه .

وقال : .

 نورية المحيا ... تحمل نارية الحميا .

والدوح لدن المهز رطب ... قد رف ريا وطاب ريا .

تجسم النور فيه نوراً ... فكل غصن به ثريا .

وقال في أسود يسبح : .

وأسود عن لنا سابح ... في لجة تطفح بيضاء .

وإنما لاح بها ناظر ... في مقلة تنظر زرقاء .

وقال : .

والليل قد ولى يقرض برده ... كداً ويسحب ذيله في المغرب .

وكأنما نجم الثريا سحرةً ... كف تمسح عن معاطف أشهب .

وقال يصف البرد : .

والأرض تضحك عن قلائد أنجم ... نثرت بها والجو جهم قاطب .

وكأنما زنت البسيطة تحته ... وأكب يرجمها الغمام الحاصب .

وقال يصف شجرة متهدلة : .

ولدته المعطفين ناعمةٍ ... تمسح ريح الصبا جوانبها .

كأنها والرياح تعطفها ... راقصة أسلت ذوائبها .

وقال : .

ومجاجة لزجاجة عاطيتها ... فرميت شيطان الأسى بشهاب .

وكأنما كرة البسيطة بيضة ... والليل يلحفها جناح غراب .

وقال يذم خطا رديا ً : .

قواف أتتني عنك تحكيك خسةً ... فلو كن أعضاء لكن مخارجا .

معوجة أسطارها وحروفها ... كأن بها من برد لفظك فالجا .

وكان يوماً في مجلس عند بعض إخوانه وفيه عنب ورمان وبينهم فتى يتهم بحالة ففضل العنب

على الرمان فقال ابن خفاجة : .

صلني لك الخير برمانةٍ ... لم تنتقل عن كرم العهد .

لا عنب أمتص عنقوده ... ثدياً كأني بعد في المهد .

وهل يرى بينهما نسبة ... من عدل الخصية بالنهد .

فأخجل الفتى وصحت التهمة وقال في اقتران الثريا بالهلال :